مفارقة التناص في شعر نازك الملائكة

يسرى صالح خضير

أ.د. رفل حسن طه

جامـــعة كربـــــــــلاء

كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللُّغة العربيّة

الملخص:

يـدور هـذا البحـث فـي الكشـف عـن مفارقـة التنـاص فـي شـعر نـازك الملائكـة، إذ تعـد مفارقـة التنـاص مـن المصـطلحات التـي تلقـى رواجـاً والتـي تسـاعد علـى فهـم النصـوص بوصـفها فـي جـزء كبيـر منهـا تراكمـات مـن نصـوص سـابقة، فيعـد مـن أبـرز المصـطلحات النقديـة الحديثـة التـي اسـترعت اهتمـام البـاحثين والنقـاد ، وتشـير مفارقـة التنـاص إلـى حقيقـة مفادهـا أن الـنص مـا هـو إلا حـصيلة تفاعـل نـصوص سـابقة ، تحـاورت وتـداخلت ثـم تفاعلـت فـي بنيـة نـصية جديـدة ، لتعـود مهمـة الباحـث هـي فـك خيـوط البنيـة الجديـدة ، ومحاولـة الرجـوع بهـا إلـى أصـولها والوقـوف علـى الطريقـة التـي تـم بهـا الانصـهار والتفاعـل وعمليـة بنـاء الـنص الجديـد، وأخـذت مفارقـة التنـاص فـي شـعر نـازك الملائكـة حيـزاً واسعاً بين التقانات الشعرية الأخرى.

This research is about revealing the paradox of intertextuality in the poetry of Nazik Al-Malaika, as the paradox of intertextuality is one of the popular terms that help to understand the texts as in a large part of them accumulations of previous texts, and it is one of the most prominent modern critical terms that drew the attention of researchers and critics, and indicates The paradox of intertextuality refers to the fact that the text is nothing but the outcome of the interaction of previous texts, they negotiated and overlapped and then interacted in a new textual structure, so that the researcher's task is to unravel the threads of the new structure, and try to return it to its origins and to stand on the new way in which the text was built and the fusion process. The paradox of intertextuality in the poetry of Nazik al-Malaikah occupied a wide space among other poetic techniques.

الكلمات المفتاحية: نازك الملائكة، التناص،المفارقة، الشعر العراقي الحديث.

المقدمة:

بات معروفا ما للتناص من اهمية في الدراسات الاكاديمية العربية والعالمية حيث يتبع الشعراء اساليب مختلفة تسهم في زيادة قوة التناص والتناص حسب راي جوليا كريستيفا " هو عملية نقل لتعبيرات سابقة او متزامنة في النص الجديد"[١] ومن هذه الاساليب (المفارقة)، فيتحد الاسلوبان ليكسبا النص اهمية متزايدة ، فتكون نقلة نوعية لحالة التناص ككل وتهدف هذه الدراسة لتقصي توظيف الشاعرة نازك الملائكة للتقانتين (التناص والمفارقة) واثرهما في نتاجاتها الادبية ، فيبرز استدعاء الشاعرة للتراث الديني والاسطوري، وهما الابرز في شعرها :

اولا: مفارقة التناص الديني ان المتتبع لشعر نازك الملائكة يجد انها كانت حريصة على تضمين نتاجها للتراث العربي والعالمي وتوظيفه فيه، وبخاصة التراث الديني فاستمدت من القران الكريم الفاظه ومعانيه وهو

توجه جميع الشعراء منذ نزول الذكر الحكيم على سيدنا رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، فكان منهجهم وتوجههم له توجها لا راديا عفويا لدى الشعراء المحدثين من المسلمين وحتى الشعراء العرب غير المسلمين مثل الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ضمن اشعاره اقتباسات قرآنية وشخصيات اسلامية عظيمة، وكذلك الشاعرة نازك الملائكة نحت هذا المنحى ، فبرز توظيف التناص المفارق في عدد غير قليل من قصائدها فتنوع بين الاسطوري التراثي الشعبي والديني، ففي قصيدة (الماء والبارود، من ذكريات حرب اكتوبر)[٢] حيث ضمنت قصيدتها قصة سيدنا **اسماعيل (عليه السلام**)مع امه **هاجر** حين اضطر لتركهم نبي الله **ابراهيم (عليه السلام**)في واد غير ذي زرع، فتولاهم الله برحمته، ففجر لهم عين زمزم التي لازالت وستبقى حتى يرث الله الارض ومن عليها تقول:

رباه فجر بين ايدينا عيون الماء

هات اسقنا يا رب من لدنك كاس رحمة مطهرة
يا واعد المؤمن بالصحو وبالظل والندى الظليل
هات اسقنا كما سقيت الطفل اسماعيل
كما رويت امه الولهة المنكسرة
بعد هيام ضائع طويل
في مدن العويل

ذكرت الشاعرة القصة التراثية الدينية في هذه الابيات من دواعي الامل بالله والدعاء، له لتحقيق السقيا وقصدت بها سقية من رحمة الله وعونه في تحقيق النصر في هذه الحرب، التي كانت لكل العرب في مواجهة اسرائيل ولم تكن لمصر فقط، واستعملت لفظ (التفجير) للرغبة الشديدة والطمع في رحمة الله واشتداد الكرب، (على الفرقة المصرية ابان حرب اكتوبر التي تقطعت بهم السبل، ونفذ منهم الماء فليس امامهم الا الموت عطشا او التضرع بالدعاء والثقة بالله تعالى، فلا يجد الانسان غير رحمة الله ووعوده للمؤمنين بالنصرة في اوقات كربهم واوقات راحتهم يرويهم كما روى الطفل اسماعيل (عليه السلام) العاجز عن نصرة نفسه او الاعتناء بنفسه وبأمه المنكسرة الوحيدة في صحراء قاحلة حتى قصفت الطائرات الصهيونية مناطق حولهم لتتفجر من ذلك عيون ماء بسبب وجود مواسير مياه مدفونة تحتها)[٣] فالمفارقة هنا انها رأت ان الصورتين تلتقيان فلبثت تدعوا الله تعالى بحرارة دعاء السيدة هاجر وهي مذعورة خوفا على ابنها من الهلاك وان كانت المفارقة هنا ان الجنود رجال مدربين وبين امرأة ضعيفة وطفل ، فأعادت هذه القصة لذهن الشاعرة ما حدث مع السيدة هاجر ونبي الله اسماعيل (عليه وعلى ابيه الصلاة والسلام)، فجعلت منها مفارقة تناص بين حادثتين قديمة واخرى حديثة حيث ان عناية الله لا تفرق بين طفل وام عاجزة وبين رجال اقوياء جنود دافعوا عن بلادهم بوجه الطغيان ، فتطلبت ذات الوقفة لتتحول الصحراء القاحلة في ثانية الى منبع للمياه العذبة حتى صعب على المرأة حصرها، وهذا ما حدث مع جنود الفرقة المصرية فالشاعرة هنا لم تذكر النص كما جاء في القرآن الكريم بل اشارت له اشارة واضحة بينت المعنى المراد من ذكره ، كما استوحت الشاعرة قصائدها من قصص جاءت في القرآن الكريم مثل قصيدة (ادم وحواء) وقصيدة (قابيل وهابيل) والتي وجهت من خلالها تساؤلات خطرت في اذهان البشر منذ (ادم عليه السلام) الى وقتنا، وستبقى ما بقيت البشرية كل يفسرها بطريقته ونظرته وحسب معتقداته للمسلمين تفسير وللنصارى غيره ولليهود غيره ، وكذلك الاديان غير السماوية بوصف هذه القصص كالأساطير بشرية فجاءت بالمفارقات والاحداث والصور لديهم، وفي قصيدة (قابيل وهابيل)[٤] تقول :

اين هابيل؟ اين وقع خطى اغـ ـــنامه في الحـقـول والوديان
ليس مـنه إلا ضـريح كئـيب شـاده في العراء أول جـان

.....

واتت ظـلمة المـساء على الحقـ ـل وعاد القطيع من دون راعي

.....

إن يكـن مـن فقـدت أول مـقتو فلأيـاً سـيقتل العـشـرات
يـا لأحـزان ادم حـيـن ابـ ـصر بابنيه قـاتـلا وقـتـيلا
ايـها المستطار لـن تردع الاقـ ـدار حتى إذا بـكـيت طـويلا
استرح انت، ن، دع العالم المـ ـحزون يحيا في ظلـمة الأرجاس

دعـه في غيــه فمـا كان هابـيــ ـيل القتيــل الوحـــيد بـــين الناس

تمثل القرآن الكريم في نصوص نازك الملائكة، فأخذت منه اقتباسات، وتناصت مع بعض نصوصه و قصصه لتوظفها بما يلائم تفكيرها لتنتج نصوصا حيوية تتوهج بالتخييل والايحاءات نتيجة انبثاقها العفوي من المخزون الثقافي الثري للشاعرة، فتجسده بصور متخيلة تعطيها روحا اخرى، فتبعث فيها الحياة، ولا تخلوا من الفائدة، فهي نصوص توجيهية تخاطب المجتمع الحديث، وصلته بماضيه مهما ابتعدت القرون، تتخذ الشاعرة دور الراوية لتروي لنا قصة اول جريمة في التاريخ البشري حيث ارتأت في هذا النص اسلوب السرد القصصي في وصف ما حدثت بين اولاد ادم (عليه السلام) (قابيل وهابيل)، وهي من جهة اخرى تحاكي صراع الخير والشر في نفوس البشر، والجشع والتسرع والندم، وكل هذه الاحوال التي تمر بها النفس البشرية التي لا يمنعها من سلوك طريق الشر إلا إيمانها واخلاقياتها التي تربت عليها فتكثف هذه الصور المتخيلة والتي تحمل الدلالات الرمزية السابقة عن طريق نقل الخبرة، فتلخص التجربة الفنية والانسانية بصورة فذة اضافة الى تفعيل اسلوب المفارقة الذي تمثل بموقف (قابيل) والحزن الذي انتابه بعد قتله لأخيه، فعبرت عن ذلك بالقول: (قابيل يمشي كئيبا نهب الافكار والاوجاع) ، فالقاتل والمنتصر هو من يتوجع ويندم على فعله لكن لا ينفع الندم، ولا دمع ابيه في اعادت المقتول والمفارقة الأخرى ان هذا الحال سيستمر بعد كل ما جرى للقاتل، فلن يتخذ البشر من هذه الحادثة عبرة او درس تقول:(**إن يكن من فقدت اول مقتول فلأيا سيقتل العشرات**) ان احتراف الشاعرة في توظيف تقنية التناص المفارق لأنها من اكثر الشعراء اتقانا لتفعيل اسلوب الرمز الشعري وتوجيه الكلام بصورة مبطنة او غير مباشرة نوعا ما ذلك يتضح من خلال هذه الدراسة المفارقة في شعرها وبمختلف الاساليب الفنية واللغوية وفي قصيدة (ادم و فردوسه) (٥) بنت الشاعرة قصيدتها استنادا الى قصة سيدنا ادم عليه السلام وبدأ الخليقة وعصيان الله تعالى، إلا ان عصيانه لم يكن عصيان ذنب نما كان فشله في اول اختبار لحرية الاختيار بين الطاعة أو اتباع هوى النفس مما ادى بالتالي الى الشعور بالذنب والمعصية ثم الهبوط من الجنة الى الارض والحياة الدنيا وكل هذه الاحداث تقول :

اي ذنب جناه ادم حتى
نتلقى العقاب نحن جميعا
وليكن ادم جنى حسبه فقـ
ـدان فردوسه الجميل عقابا
اولم يكف انه هبط الار
ض ليسقى آلامها اكوابا ؟
اولم يكف انــه هبط الدنــ
ـيا طريدا من خلده الفينان ؟
اولم يكف انـــه عــرف الشــر
وقد كـــان طاهرا في الجنان؟
ليت شعري ماذا يروق لعينيــ
يـــــه هنا في انغلاق هذا الوجود
كيف ينســـى آفـــاق جـنته مـا
ذا يغـذي حنيـنــه الخلـــود

ان شغف الشاعرة بالأسئلة الوجودية، وجدوى الحياة، وافكار التشاؤم جعلت من قصص القرآن الكريم مجالا رحبا تناقش فيه الشاعرة وتجيب على تساؤلاتها، وما يشغل بالها من هذه الافكار، فوضعت نفسها موضع سيدنا ادم (عليه السلام)، فنظرت من منظوره وبينت حجم المفارقات التي برزت واضحة في ابيات القصيدة ومن تساؤلاتها هل استحققنا العقاب مع ادم (عليه السلام) ؟ وهل استحق فعله كل ذلك؟ من طرد من الجنة، وتجريده من حياة النعيم والخلود الى حياة الاسر والفناء والتعب ؟، وكيف كان رأيه وكيف تقبل ما اخذ منه على عجل ليحاول التأقلم مع واقعه المرير؟، وغيرها من مفارقات اتسمت بالتضاد بين المعاني والصور في حياته بين الجنة والارض وهذه الانعطافة التي غيرت شكل الحياة والانسان وتستمر احداث هذه القصة التي وردت في القرآن الكريم، فتسرد احداثها لتصل الى حادثة قابيل وهابيل ابناء ادم و أول جريمة قتل قام بها قابيل، فقتل اخاه هابيل وهي كذلك وردت في القرآن الكريم تقول:

يــا لأحزان ادم عندما ابــ

ـصر بـابـنيـه قاتـلا وقـتيلا
ايـها المستطار لن تردع الاقـ
ـدار حتى اذا بكيت طويلا

وظفت الشاعرة التناص في هذه القصيدة مبنيا على استراتيجية المفارقة، فأعادت صياغة الحكاية المشهورة بقراءتها الخاصة، بهدف تجديد الوعي المعاصر بحوادث تاريخية دينية معروفة بين الاديان= وليس الاسلام وحسب، فكسرت توقع المتلقي باستدعائها لهذه الحادثة من وجهة نظر مختلفة، فلم يكن عقاب ادم (عليه السلام) بالهبوط من الجنة فقط بل العقاب بدأ بعد ذلك من اعمال لجمع القوت، والدفاع عن النفس ضد الاخطار ثم تربية الابناء حتى رأى ولديه قاتلا وقتيلا، فليس بوسعه تغيير الاقدار بدمعه بل عليه تقبلها وطاعة الله بالرضى والقبول

وفي التناص الديني (القرآني) اللفظي جاء في قصيدة (للصلاة والثورة)[٦] قولها :

سيستحيل الماء والتراب والهواء
مدافعا فاغرة، وثورة حمراء
تزلزل العصابة السوداء
ويسقط الطغيان
ويزهق الباطل والبهتان
ويمكرون مكرهم، ويمكر الرحمن

هذا التناص اللفظي مع الآية الكريمة قال تعالى:((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))[٧] خلق شعرية على مستوى البنية الدلالية للآية الكريمة، فجعلت من التناص أداة اجرائية للمفارقة في خدمة المعنى المراد، فجيش هذه الامة ليس الانسان فقد بل الماء والتراب والهواء كل ذلك سيدافع عن ارض العرب، وعن قبة الصخرة، فالمفارقة هي تحول الذي يصيب الارض من ظوهر لخدمة الانسان الى جنود في خدمته ترفض الطغيان وتزهق الباطل والبهتان، فالماء والنبات والهواء رفضا للاحتلال قاموا بثورة على العصابة السوداء اي (الصهاينة) وفي هذا اشارة الى الحديث الشريف الذي يعد اليهود في اخر الزمان حين يستعيد المسلمون المسجد الاقصى فأن الشجر والصخر سينطق ليبلغ عن يهودي يتخفى خلفه وهو حديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابي هريرة (رض) قال رسول الله (صل الله عليه واله وسلم): ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله)) [٨] وهو حدث من علامات الساعة الصغرى

وفي قصيدة (سبت التحرير) [٩] ذكرت الشاعرة تناص اشاري الى قصة اليهود حين تاهوا في صحراء سيناء في مصر اربعين سنة جاءت في القرآن الكريم ايضا تقول:

وفي سيناء ثانية – كما تاهوا – يتيهون
الى ابد الزمان وليس من موسى – لينقذهم – وهارون
فموسى غاضب يلعنهم
والسخط قد الهب هارون
سلام الله والحب على موسى وهارون

اشارت الشاعرة النازك الملائكة الى هذه الواقعة من القرآن الكريم كشاهد على عصيان اليهود حتى لأنبيائهم عليهم السلام (موسى وهارون)، وهي مفارقة موقف تتمثل في تنبؤ الشاعرة لليهود بالتيه كما حدث اول مرة وامتنعوا عن القتال مع موسى (عليه السلام)، فهذه الحرب التي انتصر بها (المصريون) ستعيد لهم ما حدث في الماضي ولن يكون سيدنا موسى (عليه السلام) منقذهم هذه المرة لأنه غاضب عليهم يلعنهم كذلك سيدنا **هارون (عليه السلام)** يسخط عليهم لتعجرفهم وظلمهم فيبقون الامة الضائعة في صحراء سيناء ليس اربعون سنة بل الى اخر الزمان ان التناص المفارق هو محاولة الشاعرة الفصل بين صورة الحق المتمثلة في (موسى وهارون) عليهما السلام وصورة الباطل المتمثلة باليهود الصهاينة وذلك من اشارتها في البيت الاخير حيث تفاجئنا بالدعاء بالسلام لـ (موسى وهارون) عليهما السلام

التناص الاسطوري: الشاعرة نازك الملائكة من اهم شعراء العصر الحديث توظيفا للأساطير في ثنايا قصائدها، ومنها اساطير محلية من العراق القديم، واجنبية من الحضارات الاخرى الغربية الاغريقية والرومانية، وغيرها تؤكد ذلك الدكتورة **حياة شرارة** من ان الشاعرة درست اللغة اللاتينية منذ عام ١٩٥٠

فاطّلعت بالضرورة على ما في الادب الروماني من اساطير وحكايات حتى بدأت هي بكتابة ملحمة ادخلت فيها اساطير محلية بابلية واغريقية [١٠]، وهذا ايضا ماكدته الشاعرة في احدى مقابلتها في الكويت ان "الاسماء الاسطورية التي ترد في شعرها بسبب اطلاعها على المصادر الاجنبية بشكل مباشر، ومعرفتها بكل صغيرة وكبيرة في الميثولوجيا الاغريقية من اصغر تفاصيلها الى اكبرها، وذلك اثناء دراستها فرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة [١١]عام ١٩٤٢، فذكرت اسماء شخصيات اسطورية مثل (ابولوا اله الشمس، و بلاوتس اله الذهب) عند اليونان ومدينة (يوتوبيا) التي تحاكي المدينة الفاضلة الخيالية عند افلاطون لها عنها قصيدة طويلة بعنوان (يوتوبيا الضائعة) [١٢]تقول :

يوتوبيا حلم في دمي اموت واحيا على ذكره
تخيلته بلدا من عبير على افق وحرت في سره
هنالك حيث تذوب القيود وينطلق الفكر من اسره
وحيث تنام عيون الحياة هنـــالك تمتد يوتوبيا

وتقول في موضع اخر من القصيدة:

في حلمي صحت اين اسير فرد الصدى: قرب يوتوبيا
وفي حلم اخر كنت امشي على شاطئ من حصى ورمال
غريب، غريب بلون الاثير يحــف بــه افـــق كالـخيال
وسألت ماذا ترى خلفها فـقال لـي الرمل: يوتـوبيا

وفي اخر القصيدة تقول :

ومرت حياتي مرت سدى ولا شيء يطفئ نار الحنين
وما زلت اذرع صمت القفار واسال عن سرها العابرين
واسال حتى يموت السؤال على شفتي ويخبو النشيد
وحين اموت ... اموت وقلبي على موعد مع يوتوبيا

اوضحت الشاعرة تعلقها القوي بمدينة اليوتوبيا التي تخلو من الزلل والخطأ وهذا يمثل سعي الشاعرة في حياتها وعبر شعرها التوجيه ومحاولة اصلاح المجتمع، والحث على التمتع بالأخلاق الحسنة والانسانية وحب السلام العالمي، فظل ذلك حلم يراودها طيلة حياتها على انها تعلم تماما ان لا وجود لهذه المدينة فاطلقت على العنوان (يوتوبيا الضائعة)، فالمفارقة تبدأ من العنوان فهي مدركة تماما ان احلامها ضائعة، فأحلامها هذه في القصيدة تتناص مع قصة يوتوبيا من ادب المدينة الفاضلة، وهي حكاية خيالية سياسية وفلسفية كتبها المفكر البريطاني (توماس مور) عام ١٥١٦ [١٣] تعيش الشاعرة مفارقة الواقع المعاش مع الخيال والاحلام فيوتوبيا حلم والشاعرة تحلم للدخول الى مدينة خيالية هي ايضا حلم، فتهدر حياتها كاملة حتى موتها وهي تبحث عن حلم يوتوبيا، فبنت عالمها الخاص على غرار هذه المدينة المتخيلة والمثالية تتجلى شعرية المفارقة في الغربة التي عاشتها ذات الشاعرة في هذه الابيات مع واقعها، فهي ترفضه تماما على امل العيش في يوتوبيا، وتبقى ساعية للوصول اليها حتى وان ماتت في سبيل ذلك سيبقى لها موعد مع يوتوبيا لان ذكرها كان ينعش روحها، ويحرك افكارها، ويطلق العنان لمخيلتها، بأجمل الافكار والاشعار كلما اشتد حنينها اليها، فكانت تحلم لاستحضارها حتى مرت حياتها سدى في البحث ، ومحاولة ايجاد المدينة الضائعة (يوتوبيا) اتخذت هذه القصيدة منحا قصصيا سرديا والحوارية كانت حاضرة في حديثها مع شخصيات القصيدة، ممن توجه لهم الاسئلة، فتزيد عمق المعنى الخيالي، والاغراق فيه استعملت كذلك نازك الملائكة الشخصيات الاسطورية بكثرة في شعرها كما مر ذكره سابقا هذه المرة في قصيدة (عند العشاق)[١٤] ذكرت شخصية (كيوبيد) وهو اله الحب عن الاغريق تقول :

سل كيوبيد عن شقوة صرعا ه ماذا يــلقون من تــعذيب
كيف يحيون في جحيم من الشك وليل من الضنى والشحوب

استلهمت الشاعرة هذه الاسطورة في بناء تناص مفارق بين جمال الحب وعذابه، فذكرت انخداع العاشقين بهذا الصرح الممرد البهي، حتى يدخلوه، فيتحولوا الى صرعى يعيشون في جحيم الشك والالم والشحوب، فأغنت النص وعرضت صورة مغايرة للحب، اعتمدت على التضاد والمفارقة بين حال المحبين في الحقيقة والصورة النمطية عنهم، فهم ليسوا الا مجموعة حيارى قضوا ايامهم بالحرمان، يشكون للزمان مآسيهم ويعيشون حياة الشقاء، وأسأل عن ذلك كيوبيد معذبهم وهو رمز الحب عند الرومان الذي عانى هو بذاته من الم الحب مع محبوبته بسايكي في الاسطورة المشهورة ، فتكون الافادة اكبر في تنويع مصادر الشاعر المرجعية

التي يتناص فيها مع افكاره ورؤاه المفارقة للواقع وللمنطق مما يغني النص، وتزيد المتلقي ثقافة ربما لم يطلع عليها، فتحور معانيها بطريقة فنية تخدم قضية النص ويظهر في شعر نازك الملائكة انها قد نثرت الاساطير العالمية والمحلية ودمجتها في اساليب كثيرة مثل التناص المفارق، وظفت الشاعرة الاساطير في بواكير شعرها توظيفا ادبيا عندما اتخذت الاسطورة عندها الى مستويين :

توظيف اسماء الشخصيات الاسطورية واستعمالها مثل (ابولو وبلوتو واريس ونارسين وغيرها)

اما الثاني فقد كان اكثر نضجا حيث وظفت الاسطورة بأكملها فتناصت معها كبناء قصصي مثل قصيدة (اسطورة نهر النسيان وقصيدة صلاة الى بلاوتس اله الذهب ، ومأساة الحياة)

في قصيدة (صلاة الى بلاوتس اله الذهب) [١٥] عبرت الشاعرة عن جشع الانسان بالمطلق عبر هذه الشخصية الاسطورية تقول :

حدثيهم عن ذلك الملك الغا ... بر (ميداس) كيف كان مصيره
اين ساقته شهوة الذهب العمـ ... ـياء مـاذا جنى عليه غـروره
جُن بالتبر لم يعد يعشق الأنـ ... ـجم إلا إن اذكـرته سـناه
وازرقاق الغيوم والبخر ما عا ... د مـثيـرا لحـبه ورؤاه
واخضرار الجبال اصبح يؤذي ... روحه، والزهور لا ترويه
فهو عطشان يدفع الذهب الوهـ ... ـاج أحلامه الى الـف تيه

....

جثـا ضـارعا وصاح: حنانيـ ... ـك ملاكي ماذا سؤالك ماذا
أعط هذه اليـد المشوقة لمساً ... ذهبيا وقـوة مـن سـحـر
دع ذراعـيّ لا تمسـان إلا ... لتعيـد الاشـياء عـالم تـبر
ايه ميداس، ايها الملك الاحـ ... ـمق ماذا جـنيت ؟ اي غرور
ارقب الآن مطلع الفجر وانظر ... كيف عقبى خيالك المغرور
غدا تستحيل اشجارك الحيـ ... ـة تـبرا تعافـه الانـداء
وسواقي المياه تجمد صفرا ... ء كصحراء جف فيها الماء

.....

هكذا تنتهي خيالاتك التبـ ... ـرية الصـفر للأسـى الابـدي
فاشرب الآن خمرة الندم البا ... رد واسكر بحـلمـك الـذهـبي

تميزت الشاعرة في هذه القصيدة المطولة بالشمولية وابتعدت عن الذاتية التي عرفت بها في معظم قصائدها فأخذت الشاعرة دور الراوي في بناء شعري قصصي ممتع وجهت الانظار الى جشع الانسان المعاصر ولهثه وراء المكاسب من اي باب ولو على حساب الحياة والجمال والطبيعة في (تناص مفارق) اعتمد على التضاد، فاستدعت حكاية اسطورية لشخصية الملك (ميداس) من الاساطير الاغريقية وتناصت معها للتعبير عن اراءها بجشع الانسان كما مر سابقا، فبالرغم من كونه ملك لم يجد سعادته، فيما يملك ولا زال يطمح للمزيد حتى ساقه هذا الطمع الى خسارات مضاعفة وندم قاتل حين واتته الفرصة للقاء (رب الامنيات)، فطلب منه تحقيق امنية هي ان يعطي يده لمسة ذهبية تحول كل شيء يمسه الى تبر حتى استحال ما حوله لصحراء صفراء بلا روح وبلا جمال، ويزيد طمعه وجنونه، و في لحظة جهل غير واعية لمس ابنته الحبيبة (نهاوند)، فحولها بلمسة لا ارادية الى تمثال جامد من الذهب، فصورت الشاعرة المه وندمه في مفارقة عميقة اعتمدت على التضاد في التحولات التي اصابت عالمه بعد تحقق امنيته لان الخسارة غير المحسوبة اضاعت فرحة الوصول (للمسة الذهبية) وجشعه دمر كل شيء واضاع لمسة العاطفة والحب من روحه بتحول طفلته الى تمثال ذهبي هكذا انتهت احلامه الذهبية وضل بعدها يقاسي مرارة الندم

التناص الشعري: يعد التناص الشعري احد اهم انواع التناص حيث يتخذ من الشعر العربي القديم مصدرا مهما ومرجعية للشاعر يستند عليها، فيمارس فعاليته وتوظيفه لإنتاج المفارقة كما " ان ابداع الشاعر المعاصر يقف وراءه تراث ضخم من الشعر القديم حيث انه لا يمر بعصر من الاعصر الادبية منذ العصر الجاهلي إلا افاد منها حيث يكون لهذه التناصات وجود فني في التعبير الدلالي مكملا لسلسلة الابداع الممتدة عبر الزمن الماضي الى الزمن الحاضر "[١٦] إلا ان بعض النقاد في العصر الحديث يعيبون الشاعر لتوظيفه تقانة التناص مع الشعر القديم او استعمال الفاظه مبررين هذا الرأي بالقول :" ان ما من جيل يمكن ان يحس بنفس الطريقة التي كان

يحس بها من سبقوه "[١٧]، ان المشاعر الانسانية هي ذاتها في كل العصور الحزن والفرح السعادة والالم إلا ان التعبير هو ما يجعل الاختلاف ظاهرا نأتي على توظيف الشاعرة نازك الملائكة لقصيدة حكاية (قيس وليلى)[١٨] هنا كان المستهدف هو التأثير بالمتلقي وما التناص المفارق إلا آلة توظفها الشاعرة بحسب اهمية الموضوع وعمقه في روحها وتأثيره في فكرها ، فدلت هنا مثلا على روحها العاشقة و فيها رسمت مفارقة (السعادة والحب والحزن والفراق) تقول :

كيف مات المجنون؟ هل سعدت ليـ ـيلى سلوا هذه الصحارى الحزينة
ذلك الشاعـر الـشـريد الخيـالـي صـديق الظباء فـي الصحـراء
ونجيُّ الرمال والوحوش والبيـــ ـد وطـيف الشـحـوب والادواء
سـحق الحب قلبه المرهف الغض فعـاش الحـيـاة دون مـقـر
فـوق تـلك الـرمـال ينشد اشعا رَ هـواه لـكل هـوجـاء تسـري
يـوم كانت تـرعى الشياه ويرعى قيـس أغـنـامـه فتـشدوا ويـشدو
وتـدوي باللـحن تلك الرمـال الـ ـسمر حـيث الظباء تلـهو وتـعدو
يـوم كانت يـا لهفـة الشاعر العا شـق مـاذا قـد ابـقـت الاقـدار
وتبـقى قبـر على قـدم الـتـل ذوت تـحتـه مـعـالـم لـيـلـى
وحـنـت فـوقه شـجـيرة ورد اتـخذتـها الأشـلاء في القـبر ظـلا
وتبـقى قـيس المعـذب يبـكي مـا تـبقى مـن عـمره المـصدوم
الى ان تقول في اخر القصيدة :
ثم جاء الصباح يـوما وقـيـس في يـد الـموت ذاهـل مـصـروع
ليـس تبكيـه غيـر تـنهيدة الريـ ـح وصـوت الـبوم الـكئـيب دمـوع

ان الشاعرة نازك الملائكة من الشعراء المجددين في اساليبهم ومواضيعها امتازت بالفلسفة والتشاؤم، والتي عممتها في اغلب نتاجاتها لا سيما البدايات، ففي هذه القصيدة استحضرت من التراث الادبي العربي قصة الحب العظيمة التي حضرت في الاف القصائد العربية كمثال للحب العظيم العذري، فربطت ما هو تقليدي بأفكارها المعاصرة، فأخذت تروي عبر تقانة التناص المفارق اراءها بالحب ومحاولتها شد انتباه القارئ لاختلاف قصيدتها عبر بداية مثيرة وهي السؤال (كيف مات المجنون؟) اعطت دفقة من الفضول للمتلقي لمعرفة كيف مات المجنون، فتعيد للأذهان الصورة كاملة حتى وان كان المتلقي لا يجهلها، وعالم بما دار في تفاصيلها لتعيد انتاجها عبر رسم (مفارقة) عن حال العاشقين (قبل الفراق وبعده) حتى صار كل ما حولهما يحنوا اليهما، ويتأثر بحزنهما ، فرق لحالهم الحجر والشجر ولم يحرك عذابهما الانسان ، بعد ان كانوا منبوذين معابين على فعلهم من مجتمعهم الرافض لهذا النوع من العلاقات، فالصحراء، واشجارها والظباء والرمال صارت متعاطفة معهما وهذا ما يسمى (انسنه) الاشياء الجامدة او الكائنات الحية غير العاقلة كالحيوان والنبات وهو كثير في شعرها حتى ان الشجرة ظللت قبر ليلى لتحمي (الاشلاء)، وهي مفردة قاسية استعملتها الشاعرة كصورة مأساوية للنهاية و الفراق، فكان توظيف تقانة (التناص والمفارقة) في اعادة انتاج قصة حب (ليلى والمجنون) اسقاطا على افكار الشاعرة التشاؤمية، فروت احداثها بتركيز الاهتمام على الجانب المأساوي من الحكاية وان الحياة لا تسمح بالسعادة ولو بلغ الحب الجنون، وهناك مفارقة اخرى ضمنتها الشاعرة لقصيدتها هي (رؤية السعادة في الموت)، فطلب قيس الموت والالحاح بطلبه للحاق بليلى بعيدا عن واقع رفضهم وشتت شملهم، فأخذ يغازل الموت ويداعبه وينشد له اجمل القصائد لطلب رضاه وتحقيق مراده باللحاق بمحبوبته حتى تحقق ذلك لتنتهي الحكاية بقبرين حزينين لا يبكيهما إلا تنهيدة الريح وصوت البوم ، وفي قصيدة (اغنية للأطلال العربية)[١٩] تناصت الشاعرة في ابياتها مع معلقة امرئ القيس ووقوفه على الاطلال تقول :

من الجزع من قلب سقط اللوى ووادي الغمار وبرقة ثهمد
ومن ربـع نُـعم عـفته الريـاح وأقـفـر مـن أهـلـه وتبـدد
ومن طلـل فـي الجزيرة أقوى وما زال منبع عطر وعسجد
تعالت هتافـات مـاض عريق يعيش الخلـود بجفن مسهد

.....

وقفت بها اليوم : اين الهوادج ؟ ايـن الحداء ؟ وايـن الخيم ؟

ترجـــل فرســـانـــها ونـــــطـــــوت أناشـــــيدها وزواهـــــا العـــــــدم

وتستعجم الدار يـــــاعـــــربـــــي وتغرق في صمتها لا تجيب

.....

مســـــارح آرامـــــهـــــا دنـــــســـــتـــــها خطى الوافـــــداللأجنبي المريب

وأرض نـــزار وبـــــكر ووائـــــــــــ ـــــل خطّـــــوا على رملـــها تـــــل ابـــيـــــب

وظفت الشاعرة نازك الملائكة قصيدة امرؤ القيس الوقوف على الاطلال وقتبست منها الاسم كذلك لقصيدتها واعطت اسماء الارض العربية وصفاتها بوصفها تراثا عربيا خالصا في نوع من المفارقة التصويرية المتناصة تناصا لفظيا شعريا مع القصيدة التراثية القديمة فصورت المشهد الاول في عبقه التاريخي ورونقه وعزه العربي بوصف لا يخلوا من الالم والحسرة على تغير الحال في المشهد الثاني الذي شكل مفارقة عميقة في وصف الحال والاحوال للارض وللانسان فاللوعة ظاهرة في ثنايا الابيات والعبارات من الهيمنة الاجنبية وترجل الفارس العربي في رمز للتخاذل والرضى بالذل والهوان وتقبل الامر الواقع فانتهت العزة والاباء الى حال ضياع تلك الاثار بالمخططات الغربية فتقف الشاعرة في مفارقة عميقة اعتمدت على التضاد بين وقفتها ووقفة امرى القيس واختلاف حال كل منهما وصفتها الشاعرة ، فأغنت بها معنى القصيدة وزادت وضوح ملامحها واعطت لها مزيد من المدلولات اللغوية لهذه الاضداد وصورتها المركبة

الخاتمة :

بعد مراجعة طويلة لشعر الشاعرة نازك الملائكة لتتبع مصطلح التناص في حنايا نصوصها وأثره الجمالي وقف البحث على طائفة من النتائج نحصي منها ما يلي :

وقف البحث على مصادر التناص في نصوص الشاعرة وتحديد منابعها ، فتبين انها غزيرة ومتنوعة فبدأت بالتناص الديني وهو الاكثر استخداما في شعرها متمثلا بالنص القرآني والحديث الشريف ، كما استدعت التراث الانساني عبر الاساطير الخيالية والملاحم العظيمة فجعلت من شعرها لوحة فنية يسافر متلقيها عبرها بين الشرق والغرب ، كما استرجعت الشاعرة نازك الملائكة التراث الشعري والادبي ووقفت على الموروثات المحلية لترسخ بها مفاهيم تدعمها كما تحفظ ذلك التراث من الاندثار فأوصلت الماضي بالحاضر عبر تقانة التناص فكان شعرها وثيقة تاريخية حفظت بين نصوصها مادة تراثية عظيمة الشأن .

الهوامش:

١. علم النص ، جوليا كريستيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة ، عبد الجليل ناظم ، ط٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء –ا لمغرب ، ١٩٩٧ ، ص ٢٣
٢. الاعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ١/ ٨
٣. ينظر : نازك الملائكة في شفتي يتفتق البدر ، محمد علي عوض ، موقع جريدة الرؤية ٢٠١٩
٤. الاعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ٣٦/١
٥. الاعمال الشعرية الكاملة ، ٢١٦/١
٦. الاعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ٥٠٣/٢
٧. الانفال : الاية ٣٠
٨. ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وسننه وايامه ، محمد بن اسماعيل البخاري ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ص ٢٩٢٦
٩. الاعمال الشعرية الكاملة نازك الملائك ٥٠٧/٢
١٠. ينظر : توظيف الرموز الاسطورية في الشعر بين السياب ونازك الملائكة ، د. رباب هاشم حسين ، كلية التربية جامعة بغداد ، ٢٠١٠ بحث ص ١
١١. ينظر : توظيف الرمز الاسطوري في الشعر بين السياب و نازك الملائكة ، ص٢
١٢. الاعمال الشعرية الكاملة نازك الملائكة ، ٢/ ٣٣،٣٢

١٣. ينظر : الطوباوية : بحر وخيال ومتاهة اوهام ، ا.د. سينار الجمل ، موقع سينار الجمل الف ياء ٢٠٠٨ (مقال) ص ١.
١٤. الاعمال الشعرية الكاملة نازك الملائكة ٢/ ٩٢
١٥. الأعمال الشعرية الكاملة نازك الملائكة ، ٢٥٥/١
١٦. شعرية التناص في شعر الجواهري ، الطيب بو عترة ، (اطروحة دكتوراه) جامعة وهران –الجزائر ٢٠١٧ ، ص٦٧
١٧. ديوان قطرات من الضمأ ، غازي القصيبي ، دار الكتب –بيروت ١٩٦٩ ، ص٥٠
١٨. الاعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ١/ ١١٣
١٩. الاعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ، ٢/ ٣٢٢-٣٢٣

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١.الاعمال الشعرية الكاملة المجلد الاول والثاني ، نازك الملائكة ، دار العودة – بيروت .
٢.توظيف الرموز الاسطورية في الشعر بين السياب ونازك الملائكة ، د. رباب هاشم حسين ، كلية التربية جامعة بغداد ، ٢٠١٠م بحث.
٣.الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وسننه وايامه ، محمد بن اسماعيل البخاري ، دار الجيل ، بيروت – لبنان .
٤.ديوان قطرات من الضمأ ، غازي القصيبي ، دار الكتب –بيروت ١٩٦٩م.
٥.شعرية التناص في شعر الجواهري ، الطيب بو عترة ، (اطروحة دكتوراه) جامعة وهران –الجزائر ٢٠١٧م.
٦.الطوباوية : بحر وخيال ومتاهة اوهام ، ا.د. سينار الجمل ، موقع سينار الجمل الف ياء ٢٠٠٨ (مقال)
٧.علم النص ، جوليا كريستيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة ، عبد الجليل ناظم ، ط٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء –ا لمغرب ، ١٩٩٧م.
٨.نازك الملائكة في شفتي يتفتق البدر ، محمد علي عوض ، موقع جريدة الرؤية ٢٠١٩م.